

الطائرة المسيرة.. سلاح العصر



نواء د. سمير فرج



10 نوفمبر 2022

ظهر استخدام الطائرات المسيرة، بكثافة، خلال عمليات الحرب الروسية الأوكرانية مؤخرًا، وهي الطائرات التي توجه عن بُعد، أو تتم برمجتها مسبقًا، وقادرة، في الغالب، على تنفيذ نفس مهام الطائرات المقاتلة، مثل استطلاع العدو، وجمع المعلومات، أو تدمير أهداف معادية، وأعمال التشويش الإلكتروني، والأعمال الانتحارية، ومراقبة الحدود والسواحل.. وغير ذلك من المهام. وهو ما دفع الكثيرين للاعتماد عليها، كأحد الأسلحة الحربية الحديثة، لعدة أسباب، أهمها تنافسية تكلفتها، مقارنة، مثلاً، بالطائرة الأمريكية F16، أو الروسية سوخوى ٣٥، التي يصل سعر الواحدة منها إلى ١٠٠ مليون دولار، أو مقارنة بالصاروخ الباليستي، والفرط صوتي، الذي تتراوح تكلفته بين ٢ و ٣ ملايين دولار، بينما يتراوح سعر الطائرة المسيرة بدون طيار بين ٣٠ و ٥٠ ألف دولار، ولا يتجاوز المليون دولار.

يضاف لما سبق، عدة عوامل أخرى، ترتبط بنموذج التشغيل الأمثل، فالطائرات المقاتلة التقليدية تحتاج إلى مطارات وممرات طويلة للإقلاع وللهبوط، بينما لا تحتاج الطائرات المسيرة لأكثر من سيارة أو أرض فضاء أو حتى سطح منزل لإطلاقها. كما تحتاج المقاتلات التقليدية إلى أطقم طيارين مهرة، يستلزم تدريب الواحد منهم مدة تصل إلى 5 سنوات، قبل استخدام الطائرة المقاتلة، عكس الطائرة المسيرة بدون طيار، التي يتم تشغيلها وإدارتها من الأرض، بواسطة فرد واحد، لا يحتاج أكثر من ثلاثة أشهر لتدريبه. كما أن الطائرة المقاتلة التقليدية من السهل اكتشافها بالرادارات العادية، حتى الطرازات الجديدة منها كالشبح، بعكس الطائرة المسيرة بدون طيار، التي يصعب التقاطها رادارياً، لصغر حجمها، الذي يُمكنها من الطيران والتخليق على ارتفاعات منخفضة للغاية من سطح الأرض.

كما يمكن برمجة خطوط سير الطائرة المسيرة بدون طيار، مسبقًا، ذهاباً وإياباً، من خلال الحاسبات الآلية، ويمكن توجيهها نحو أهدافها عن طريق نظام الملاحة الدولي، GPS، وهي

تقنية عالية لا يمكن تنفيذها بالطائرات المقاتلة التقليدية. فضلا عن قدرتها على الطيران المتواصل دون التزود بالوقود لمدة تزيد على ٢٥ ساعة، وهي الميزة التي لا تتوافر للمقاتلات التقليدية، خاصة المُكلفة بعمليات المراقبة والاستطلاع. ورغم ما قد يكون لها من بعض العيوب، خاصة في قدراتها على حمل المتفجرات، التي تعتبر أقل بكثير من قدرات الطائرات المقاتلة التقليدية، إلا أن ذلك العيب يمكن التغلب عليه، بمهاجمة الهدف بعشرات الطائرات المسيرة في نفس الوقت، لتثبت بذلك أنها السلاح المفضل في عمليات قتالية نوعية.

وبنظرة على تاريخ هذا النوع من الطائرات، نجدها دخلت المجال العسكري، لأول مرة، عام 1924، كأهداف متحركة للمدفعية، ثم ظهرت فكرة استخدامها في أعمال التجسس فوق روسيا، ثم في حرب فيتنام، أما في حرب أكتوبر 73، فلم يكن لها دور يُذكر، بفضل حائط الصواريخ المصري، وكانت أولى مشاركتها الفعلية في معركة سهل البقاع بين سوريا وإسرائيل. وتنقسم أنواع الطائرات المسيرة بدون طيار، من حيث القيادة، إلى نوعين؛ الأول طائرات التحكم عن بُعد، والثاني طائرات التحكم الذاتي، التي يتم برمجتها قبل الطيران. كما يتم تصنيفها كذلك وفقا للمهمة التي تقوم بها، فمثلا في مهام المراقبة والحصول على المعلومات، تستلزم طائرة صغيرة حجما، قادرة على الطيران المنخفض للغاية حتى يصعب اكتشافها، وتكون مهمتها اكتشاف الأهداف الجوية والأرضية، وقيادة وتوجيه المقاتلات، والاستطلاع البحري، والإنقاذ، وتوفير المعلومات لمراكز القيادة، وتنظيم التحركات الجوية، وتوفير المعلومات للأرصاد الجوية، خاصة للطيران والصواريخ الباليستية.

تعتبر الولايات المتحدة، وإسرائيل، وبريطانيا، وتركيا، وإيران، والصين، من أكثر الدول المنتجة لتلك الطائرات المتطورة، ويفيد عدد من التقارير الدولية، بأن دولا أخرى انضمت، حديثا، لمجال تطوير تلك الطائرات، وهي مصر، والجزائر، والإمارات والسعودية. وبنظرة سريعة على تطوير صناعة الطائرات المسيرة بدون طيار في إيران، التي تعتبر، حاليا، من أهم التهديدات في المنطقة، نجد لدى إيران ثلاثة أنواع، الأول هي الطائرات بدون طيار ذات علو منخفض مثل الطائرة فلاش، والنوع الثاني طائرات متوسطة الارتفاع مثل طائرات مهاجر ٢-٣ التي يصل مداها إلى ١٢٠٠ كم، ثم النوع الثالث طائرات بعلو مرتفع مثل شاهد ١٢٩ التي يصل

مداها إلى 1700 كم، ويمكنها التحليق لمدة 24 ساعة متواصلة.تقوم إيران بتصنيع جميع تلك الأنواع من الطائرات الموجهة بدون طيار، وأعلنت، مؤخرا، أنها زودت روسيا بهذا النوع من الطائرات قبيل بدء الحرب الروسية الأوكرانية.

أما تركيا فتنتج طائرات بيرقدار تي بي 2، يصل سعر الواحدة منها إلى 5 ملايين دولار، نظرا لتقدمها التقني، وقد تمكنت تركيا من تسويقها في كل من قطر، وأوكرانيا، وليبيا، والمغرب، وبولندا، ويكمن للطائرة أن تواصل طيرانها لمدة 24 ساعة، مع التحليق على ارتفاع 20 ألف قدم، وحمل متفجرات تزن 150 كجم، ويمكنها القيام بأعمال الاستطلاع الليلي، ومزودة بقنابل ذكية، وأنظمة إلكترونية متطورة. أما إسرائيل، فتنتج الجيل الرابع من الطائرة هيرون، وقامت ببيعها للهند، وتركيا، وفرنسا، وكندا، وألمانيا، وبميزتها قدرتها على الإقلاع والهبوط آليا، والطيران لمدة 52 ساعة متصلة، فضلا عن حمولة تصل إلى 250 كجم، وتستخدم الطائرة نظام الملاحة العالمي GPS، لملاحظة وتحديد مواقع العدو، وتعمل ليلا بأنظمة حديثة، وقادرة على تنفيذ جميع مهام الطائرة المقاتلة العادية. وهكذا تصبح الطائرات المسيرة بدون طيار، الدرونز، هي السلاح الأحدث، والمحتمل أن يكون الأكثر تأثيرا في الحروب القادمة.

Email: sfarg.media@outlook.com